الفصل الرابع: تأثير البيئة العشوائية على سلوك الأفراد

1.4 مقدمة:

يهدف هذا الفصل إلى توضيح تاثير البيئة العشوائية على سلوك الأفراد فيها، وتحاول فيه الباحثة الربط بين ماتم عرضه في الأجزاء السابقة من مفاهيم خاصة بالسكن العشوائي وكل مايتعلق به؛ من أسباب وخصائص وسمات وغيرها (الفصل الثاني)، والسلوك الإنساني وما يتعلق به من الإحتياجات الأساسية التي تشكله، وأنواعه، وأشكال ظهوره في البيئة، والعوامل المؤثرة عليه (الفصل الثالث). وذلك من خلال عمل تقصي حول طبيعة التأثير المتبادل بين البيئة العمرانية والسلوك الإنساني، فيعرض المداخل البحثية لدراسة هذه العلاقة المتبادلة ونظريات لتفسير سلوك الإنسان في البيئة الحضرية، ومن ثم بعض أشكال تأثير كل من البيئة العمرانية والإنسان على الآخر. كما يعرض تقصياً حول طبيعة تأثير بيئة السكن العشوائي على سلوكيات أفراده؛ فهي تمثل بيئة عمرانية حضرية لقاطنيها. ليخرج هذا الفصل بتوضيح علاقة البيئة بالسلوك الإنساني كإطار نظري تحليلي يمكن الإستفادة منه في الحالة الدراسية.

2.4العلاقة التبادلية بين البيئة العمرانية و السلوك الإنساني:

1.2.4 تمهيد:

"إن البيئة العمرانية بالنسبة للإنسان كالقوقعة بالنسبة للحلزون فهي تُشكل جسمه في داخلها حسب شكلها، وهي هذا الشكل الذي يفرزه الحيوان نفسه بمعنى أن البيئة المادية (العمرانية) يمكن أن تؤثر على الإنسان وتسهم في تغيره كما يشكلها هو وفقاً لإحتياجاته وسلوكه" (حسن فتحي 2001).

أكدت الدراسات والنظريات على وجود علاقة جدلية وتأثير متبادل بين البيئة العمرانية (الحضرية) والسلوك الإنساني. فالبيئة الحضرية المكونة من شوارع ومباني ومساحات مفتوحة والتي تعتبر جزء من البيئة المحيطة؛ تأتي تلبية لمتطلبات الإنسان والمجتمع وتمثل إنعكاساًلأ فكاره وثقافته ومعتقداته وقيمه. وهي بدورها تؤثر على تصرفاته وردود أفعالهكما سيتم توضحه لاحقاً ، وقد يصل هذا التأثير إلى صحته وإصابته بالأمراض وذلك كما يحدث في المباني المريضة. فالبيئة المحيطة تولد ردود أفعال وسلوكيات معينه. وقد أكد كيفن لينش (lynch 1960) أن المصممين يشكلون البيئة ليستطيع المستخدم القيام فيها بما يريد، ولإعطاءه فرصاً أخرى للتصرفات وردود الأفعال، كما أن هذه الأفعال يجب أن تحدِ د الفراغ والتجهيزات.

هذه العلاقة الجدلية بين البيئة العمرانية والسلوك الإنساني أثارت العديد من التساؤلات وكثرت حولها الدراسات فظهرت مجالات وعلوم مختصة لتفسير هذه العلاقة كما سيوضح لاحقاً ، وقد تطورت نظريات عديدة في هذا المجال أبرزها (باهر بدون تاريخ،و خلود 2014):

- نظرية كورت لويين[1](Lewin) للسلوك: عبر لوين عن العلاقة بين سلوك الإنسان والبيئة المحيطة من خلال المعادلة التالية: الأفراد (P) + البيئة المحيطة (E) = السلوك (B)؛ حيث توضح المعادلة أن السلوك ناتج عن تكامل وتفاعل بين الإنسان والبيئة المحيطة.

وقد إهتم لوين بالبيئة المحيطة بالإنسان بإعتبارها قوى خارجية تؤثر على سلوكه، وتعامل مع تلك البيئة على أساس فهم وا ٍدراك الإنسان لمؤثراتها؛ أي من منظور التصورات الفردية للإنسان عنها. وبالتالي يعتبر شكل ومدى تأثير البيئة على سلوك الإنسان غير ثابت، متغير ومختلف بإختلاف إدراكه لتلك البيئة، فهو يرتبط بالتصورات الشخصية والفردية عن تلك البيئة.

- نظرية روجر باركر[2] للمجال السلوكي Behavior Setting Theory:

قام كل من باركر Barker وويكر Wicker بدراسة العلاقة بين السلوك والبيئة، وأظهرت نتائج دراستهما أن سلوك كل إنسان يختلف بإختلاف المواقف التي يتعرض لها، كما تم التأكيد على أن الفرد يميل إلى ملائمة سلوكه مع الموقف الذي يتواجد فيه، ومن أهم نتائج تلك الدراسة التأكيد على أهمية المحتوى الذي يدور فيه السلوك (المجال السلوكي)، وقد إتخذا هذه النتيجة كأساس لهذه النظرية.

فهما يعتبران أن سلوك الأفراد في أي مكان يرتبط بالأحداث والمواقف التي تدور فيه، بالإضافة للخصائص المادية لذلك المكان، أي أن الفرد يرتبط بالمجال السلوكي الذي يتواجد به، فهو يؤثر فيه ويتأثر به.

يُعرف المجال السلوكي بأنه مجموعة من الأحداث والتفاعلات تحدُث داخل إطار مكاني وزماني معروف ومحدد، وهو يتكون من: الأفراد، الأدوات والعناصر المتاحة للإستخدام، وعناصر الإحاطة (الحدود المكانية) من حوائط وأعمدة وأسقف وغيرها، وكذلك نمط السلوك المرتبط بوظيفة المكان (النشاط). فالمجال السلوكي يعتبر مجموعة متتابعة من الأحداث تحدث خلال زمن معين، وتتحقق وحدته من خلال التوافق بين مكوناته (باهر بدون تاريخ،و خلود 2014).

[1] كورت لويين: عالم نفس ألماني أمريكي، عُرف بإسم مؤسس علم النفس الإجتماعي، من أوائل علماء النفس الذين تبنوا المفهاهيم والمبادئ الإيكولوجية في دراسة سلوك الإنسان (Wikipedia, Kurt_Lewin، خلود 2014).

[2] روجر باركر:عالم إجتماع، مؤسس علم النفس البيئي، طور مفهوم ضبط السلوك والتوظيف، وضع أول مفهوم للسلوك في شرح التفاعل بين الفرد والبيئة (Wikipedia, Rouger_Barker، خلود 2014).

إستناداً إلى ما سبق يتضح أن البيئة المبنية بما تمثله من عناصر إحاطةإطار مكاني لها دور أساسي مع عامل الزمن والنشاط والأفراد في تكوين تركيبة توجه سلوك الإنسان.

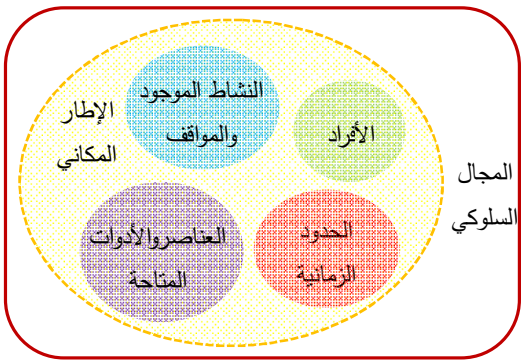

مخطط (1.4) يوضح مكونات المجال السلوكي \المصدر الباحثة

- نظرية يوري برونفينبيرنر[3] Bronfenbrenner علاقة سلوك الإنسان بالبيئة:

قدم برونفينبرنير مفهوم جديد لنمو الإنسان وسلوكه في البيئة وتفاعلهما معاً، فقد قام بتناول النمو الإنساني كعملية تغير للمواد التي يدركها الفرد من البيئة المحيطة به، وتعامل مع الخصائص الفعلية للبيئة بالإضافة لكيفية إدراك الإنسان لها على عكس نظرية لوين التي تعاملت مع الإدراك فقط.

فهو يَعتَبِر أن البيئة المؤثرة على السلوك الإنساني تركيبة متداخلة لمجموعة من البيئات (النظم) تحتوي كل منها على الأخرى، وهذه النظم هي (باهر بدون تاريخ):

- نظم صغرى: هي النظام الخاص بالموقف الذي يحيط بالإنسان مباشرة، وهو عبارة عن نسيج من الأنشطة يمارسها الإنسان في مكان له خصائص مادية محددة، ويشكل النسيج ثلاثة مكونات أساسية هي الأنشطة التي تدور في المكان، والأدوار والمسئوليات الإجتماعية للأفراد الذين يتواجدون فيه، والخصائص الفردية والميول الشخصية لكل فرد في هذاالموقف.
- نظم متوسطة: هي نظام العلاقة الذي يربط بين النظم الصغرى والبيئات (النظم) الخارجية المؤثرة على سلوك الإنسان.
- نظم خارجية: النظام الخاص بالبيئات الخارجية المحيطة بالموقف الذي يتواجد فيه الإنسان.
- نظم كبرى: وهو النظام الخاص بالإطار العام والسياق الثقافي للموقف الذي يتواجد فيه الإنسان.

[3] يوري بروفنبرينر: عالم نفس أمريكي، صاحب نظرية النظم الإيكولوجية لنمو الطفل، التي كانت سببا في تغير وجه نظر علم النفس التنموي،فقد لفتت الإنتباه إلى عدد كبيرمن التأثيرات البيئية والإجتماعية على تنمية الطفل (Wikipedia, uoery_bronfenbrenner، خلود 2014).

ويُبين ان تغير سلوك الإنسان و قدرته على إكتساب مهارات معينة في مكان أو فراغ محدد لا تعتمد فقط على خصائص هذا المكان والظروف المحيطة المباشرة والمكونه للمواقف (مجال السلوكي)،وإن الموقف الذي يتواجد فيه الإنسانو التفاعلات والتداخلات بينالذُظم المكونه للبيئة الإيكولوجية المحيطة بالإنسان تمثل القوى المؤثرة على سلوك الإنسان في موقف معين.

2.2.4 المداخل البحثية لتفسير سلوك الإنسان في البيئة:

كما ذكر سابقاً أنه قد ظهرت مجالات وعلوم مختصة لتفسير هذه العلاقة المتبادلة بين البيئة العمرانية والسلوك الإنساني، فنجد أنه ظهر الإهتمام بدراسة تأثير البيئة على سلوك الإنسان في إطار علم النفس التجريبي في المجتمعات الأمريكية والغربية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وذلك من خلال نظرية المجال لكيرت ليفين، حيث كانمهتمً ا بالجماعات البشرية وسلوكهاوأيضً ا مدرسة الجشطالت الألمانية التي إهتمت بدراسة تأثير البيئة على السلوك (رانيا 2010).

تعددت العلوم التي تدرس السلوك الإنساني، منهاعلم النفس التقليدي Traditional Psychology الذي دَرس الفرد بمعزل عن البيئة المحيطة، ومن ثم تطورت المفاهيم الخاصة بعلم النفس التقليدي في تناولها للبيئةو السلوك الإنسانيو العلاقة بينهما على مر الزمان لتشمل تأثير البيئة على السلوك والعكس (باهر بدون تاريخ، Wicker 1979).

في بادئ الأمر تَركز إهتمام علماء النفس في دراسة هذا التأثير بالإعتماد على عناصر مثل: الحرارة، والضوضاء، والتلوث وغيرها، وتأثيرها على سلوك الأفراد والجماعات، ومن ثم ظهرت مفاهيم علم النفس الإيكولوجي Ecological Psychology والذي يهتم بالعلاقة بين البيئة والإنسان، ويصور البيئة التي تؤثر على السلوك كنظام ديناميكي مركب من مجموعة من المكونات المادية والإجتماعيةو هي المجال الذي يتواجد فيه الأفراد والذي يشكل الظروف والأحداث المحيطة بهم، والسلوك هو عملية التأقلم مع هذه الظروف.

ومع ظهور نظريات علم النفس الإيكولوجي وخاصة تلك التي أوضحت المجال السلوكي Behavior Setting تم توجيه إهتمام الباحثين إلى الخصائص المادية والإجتماعية كمحدد أساسي لسلوك الإنسان، فظهرت مفاهيم و علوم أخرى كعلم النفس البيئي وعلم النفس المعماري وعلم البوجيومتري وغيرها من العلوم.

وتؤكد تلك المفاهيم على العلاقة بين السلوك الفردي والنظم الإجتماعية والقيم الثقافية والبيئة المادية، الأمر الذي يؤدي إلى تداخل وتكامل الدراسات في مجالات متعددة منها التصميم المعماري والعلوم الإجتماعية وعلم النفس البيئي (باهر بدون تاريخ).

i. علم النفس البيئي Environmental Psychology:

إعتمد علم النفس البيئي في نشأته على علم النفس الإجتماعي الذي يرى علاقة وثيقة بين السلوك البشري والبيئة المحيطة به، وبحلول عام1970م ظهر عدد من العلماء الذين أطلقوا على أنفسهم علماء النفس البيئي، وقد إهتموا بدراسة محتوى البيئة والسلوك الناجم عنها، ولكنه ظهر بشكل مستقل في نهاية الستينات من القرن العشرين من خلال صدور مجلات علمية متخصصة في شئون البيئة منها مجلة البيئة والسلوك عام1981م، ومن خلال تأسيس هيئات علمية على أعلى المستويات تبحث في علاقة الإنسان السيكولوجية بالبيئة كجمعية دراسة علاقات الإنسان بالبيئة، ومنذ ذلك الحين إزداد إهتمام العالم بهذا العلم خاصة في السنوات الأخيرة (رانيا 2010).

يعد محور الإهتمام الأساسي للدراسات في مجال علم النفس البيئي هو المكان وعلاقته بسلوك الإنسان، وكيفية إدراك وفهم الأفراد للأماكن،وإحتياجات وتوقعات وأنشطة الأفراد في المكان، وكيفية تأثير الأماكن على تلك التوقعات والخبرات (باهر بدون تاريخ). فمن خواصه الإعتقاد بأن البيئة تؤثر على السلوك (تحد وتشجع)، وأن الإنسان أيضاً يؤثر في البيئة في محاولة منه للتكيف معها،و أن العلاقة بين السلوك والبيئة متبادلة ومتفاعلة.

فهو يهتم بدراسة هذه العلاقة المتبادلة بين الإنسان والبيئة الفيزيائية، ويدرس السلوك الإنساني في السياق البيئي العام، أي يدرس علاقة الوظائف النفسية بالعوامل البيئية مما يساعدعلى تقديم حلول للمشكلات النفسية والإجتماعية الناجمة عن ظروف البيئة الفيزيائية (رانيا 2010).

ومن المواضيع التي يتناولها:

- دراسة تأثيرات البيئة على سلوك الأفرادوالجماعات بمختلف أعمارهم وإنتماءاتهم الثقافية والعنصرية، كدراسة تأثير الفقر وإسلوب المعيشة في المناطق العشوائية ومدن الصفيح على الإنسان، وأيضاً دراسة العلاقة بين المناخ (الهواءالحرار ة، والبرودة، والأمطار، والجفاف وغيرها) وسلوك الإنسان مثل: ظروف التهوية وتجديد الهواء وتلوثه ومدى توفر النوافذ والمظلات والمناور والهوايات في المباني وتأثيرها على سلوك الإنسان.
- دراسة كل الآثار النفسية والإجتماعية للتصميمات الهندسية للمباني؛ المساكن والأحياء و المدن والتغيرات البيئية في محاولة لتطويعها لصالح الإنسان أو إعداد الإنسان للتكيف معها.
- الإدراك المكاني والزماني والسمعي والبصري، كدراسة أثر أبعاد المكان على سلوكوإتجاهات الأفراد نحو الآخرين المتواجدين فيالبيئة المعينة سواء السكنية أو المدرسية وغيرها، وكذلك أثر السكن

بجوار مؤسسات عامة أو ذات وظيفة لها متطلبات خاصة مثل: المدارس أو السجون أو المستشفيات، ودراسة أنسب الأماكن لإقامة مختلف الفئات المهنية والعمرية والإجتماعية وغيرها.

- مشكلات المدينة وخاصة الضوضاء و التلوث والزحام ومشاكل الإنتقال وتأثيرها على الإنسان؛ للوصول إلى أساليب تؤدي إلى تجنب المشقة المترتبة على زيادة هذه المشكلات فهو ينظر للبيئة نظرة كلية إجمالية شمولية (رانيا 2010).

ومن ذلك نستخلص إن مجال علم النفس البيئي هو دراسة التفاعل بين الإنسان والبيئة المحيطة به، وهو يشمل البيئة الطبيعية والبيئة الصناعية (المشيّدة) والبيئة الاجتماعية ويؤكد على أهمية دراسة إستجابات الأفراد والجماعات لهذه البيئات من حيث تأثرهم بها وتأثيرهم فيها،في محاولة لتطويعها لتُناسب حياة وإحتياجات الإنسان أو إعداد الإنسان حتى يتمكن من التكيف معها. يقول تشرشل لبرنارد (أحد الساسة البريطانيين): "أننا نهندس شوارعنا لتعود هي وتهندس حياتنا ونمط تفكيرنا وتقودنا وتعيد بناءنا وحدنا من جديد".

ii. علم النفس المعماري وعلم البيوجيومتري:

إن لعلم العمارة علاقة وثيقة مع العلوم الأخرى،كعلم الإجتماع وعلم الإجتماع الحضري و علم النفس و العلوم الحيويةو علوم الحسبان (الرياضيات) وغيرها، التي تتعاون وتتكامل معه لتلبية إحتياجات الإنسان وتحقيق راحته. ونتيجة هذا التداخل بين هذه العلوم والعمارة نشأت علوم جديدة تدمج بين مجالات مختلفة من هذه العلوم والعمارة، تتضمن الجوانب الأُخرى التي يجب مراعاتها في عملية التصميم من الجوانب النفسية والإجتماعية وكل ما يتعلق بالإنسان، فنشأ مايسمى **بعلم النفس المعماري**و هو فرع جديد من فروع علم النفس أصبحت له جذوره و نظرياته في إطار التفاعل الكلي بين الإنسان ومحيطه، **و علم البيوجيومتر ي** (علم الهندسة الحيوية)و هو علم يدرس العلاقات بين الأشياء، العلاقات بين كل عناصر الكون والحياة، وتأثير هذه العلاقات على نوعية الحياة التي يعيشها الإنسان وكيفية التحسين الدائم لها.

ويرى هذا العلم أن الهندسة المعمارية هي لغة تشكيل للفراغ الذي يستخدمه الإنسان أياً كانت وظيفته، وأن نوعية الفراغ تتأثر بالأشكال والزوايا المختلفة الموجودة والمستخدمة في التصميم. فعلم البايوجيومتري هو العلم الذي يدرس تأثير الأشكال والزوايا الهندسية على طاقة الإنسان الحيويةويُوجِد حلولاً لتأثيراتها السلبية ويقوي تأثيراتها الإيجابية، حيث يستخدم الأشكال، الألوان، الحركة، والصوت وغيرها لإدخال التوازن على جميع مستويات الطاقة وإيجاد طاقة يمكننا الإستفادة منها في التصميم لتعزيز التأثير الإيجابي على الإنسان (رانيا 2010).

ومن ذلك نستخلص إن تصميم البيئة المادية لا يجب التعامل معه بطريقة عشوائية ولكن لابد أن يُحقق التوافق مع أنماط السلوك المرغوبة، وبذلك فإن الهدف الأساسي الذي يجب تحقيقه لتصميم فراغات عمرانية هو تشكيل إطار مادي يتوافق مع السياق الإجتماعي والثقافي والسلوكي للمكان.

3.2.4 تأثير الإنسان وسلوكه على البيئة العمرانية:

يُعتبر الإنسان و المجتمع وسلوكهما الجمعي أحد العوامل الرئيسية التي تؤثر وتتحكم في تشكيل البيئة العمرانية (الحضرية) بالإضافة إلى عوامل أخرى كالمناخ والجيولوجيا ومواد البناء المستخدمة والوظيفة المطلوبة وغيرها.

إن السلوك الجمعي هو السلوك المنطلق من سلوك الجماعة والرأي العام، ويتكون من النسيج الإجتماعي والعادات والتقاليد والثقافة، ويظهر تأثير الإنسان وسلوكه في البيئة العمرانية على مستوى تصميم الوحدات المبنية والواجهات بل يتعدى ليشمل التصميم والتخطيط الحضري العام، وفيما يلي نماذج لتأثير الإنسان وسلوكه على البيئة العمرانية إستناداً على مكونات السلوك الجمعي كالآتي:

أ. على مستوى المدينة ككل: إن العوامل الإجتماعية والسلوكية للإنسان تساهم بالإضافة لعوامل أخرى في تشكيل إيكولوجيا المدينة (بيئتها). وكمثال لذلك (سليم 2016):

- المركزية: كميل الناس إلى الإلتفاف حول نقطة إرتكاز محددة.
- التجمع: كميل الجماعات الإجتماعية والإقتصادية بالمدينة للتجمع في منطقة محددة.
- اللآمركزية: كميل الناس إلى البعد عن مركز المدينة.
- التفرقة: كميل الناس من طبقة إجتماعية أو مستوى تعليمي أو مهنة أو عنصر واحد للتجمع في مكان واحد.
- الغزو والإحتلال: كميل بعض الناس أو المؤسسات إلى الإنتقال إلى مجتمع أو منطقة أخرى وقد يصل الأمر إلى حد أخراج السكان القدامى في تلك المنطقة.

فنلاحظ أن طبيعة الإنسان والمجتمع وسلوكه الجمعي وثقافاتهو عاداته وتقاليده وقيمه ومبادئه، تلعب دوراً هاماً ومؤثراً في تشكيل المدن؛ وهنالك العديد من الأمثلة التي تدل على ذلك منذ قديم الزمان وحتى الآن؛ فيظهر هذا التأثير جلياً في تشكيل الحضارات القديمة كالفرعونية والرومانية والإغريقية وغيرها، فلكل حضارة سماتها التابعة لمعتقدات وسلوكيات إنسانها ومثال لذلك:

- المدن الإسلامية القديمة فالتوجهات الإسلامية العربية تحض مُعتنِقها على البحث عن أكبر قدر من الخصوصية في المجتمعات السكنية؛ الأمر الذي أدى إلى ظهور الأشكال النمطية للكتل

والطرق، وكذلك إنعدام الميادين داخل الأحياء، بالإضافة لوجود ميدان رئيسي في مكان وسطي بالمدينة به المسجد ومقر الحكم والمباني العامة.

منظور تخيلي لأحد شوارع المدينة، نلاحظ فيه مراعاة الخصوصية في المساكن من خلال الأسوار العالية، ووجود المشربيات.

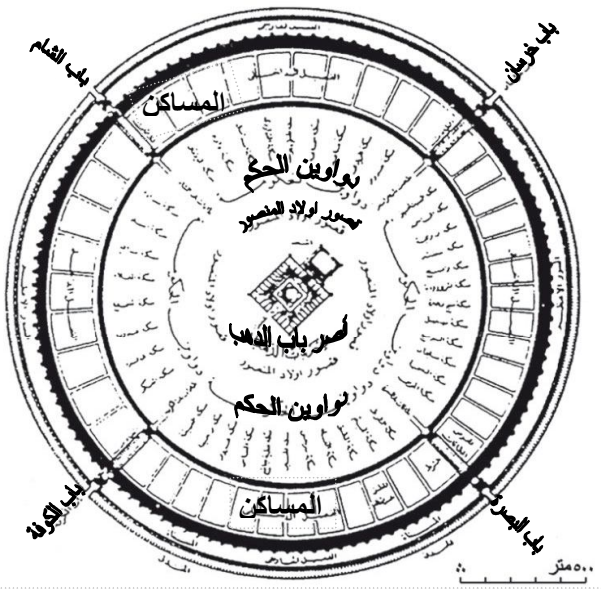

تخطيط مدينة بغداد قديماً، نلاحظ وجود ميدان رئيسي في الوسط به مركز الحكم، ثم تليه دواوين الحكومة والمباني العامة ومن ثم المساكن

خطط (2.4) يوضح تخطيط المدينة الإسلامية (مدينة بغداد) كنموذج لتأثير الإنسان وسلوكه على المدينة

المصدر : https://www.arageek.com/2016/11/28/building-baghdad-history.html

- المدن الفرعونية؛ فالمجتمع المصري القديم كان لديه ثقافة التوزيع الطبقي، ويظهر ذلك جلياً في مدنهم حيث يوجد تدرج واضح بين منازل الفقراء والأغنياء من حيث توزيع وطبيعة المباني.

ب.على مستوى المبنى الواحد والمنطقة:

نجد أن الإنسان وسلوكه الجمعي يؤثران على:

- تكوين الشكل الداخلي وأبعاده ودرجه إشغاله وترتيب وظائفه وغيرها.
- تكوين الشكل الخارجي ومقاساته وألوانه وهيئته العامة وتشكيل الواجهات وغيرها.
- ترتيب وتنظيم الكتل وتجميعها وكثافتها ودرجة إنتظامها.

فالتأثير يختلف بإختلاف مفاهيم وثقافات ومعتقدات وقيم كل من مكونات النسيج الإجتماعي،فمثلاً نجد بعض المجتمعات الإسلامية تميل إلى الخصوصية والفصل بين الرجال والنساء، فنجد ذلك يظهر في

توزيع الفراغات حيث يتم تخصيص فراغات للرجال وأخرى للنساء مفصوله عن بعضها البعض. وكذلك تظهر هذه الخصوصية في التشكيل الخارجي فقد ظهرت بعض العناصر التي توكد على الأمر كالمشربيات؛ فبالإضافة لوظيفتها المناخية فهي توفر نوع من الخصوصية لسكان المنزل.

صور (1.4) توضح إستخدام المشربيات في المباني كنموذج لتأثير الإنسان وسلوكه على المبنى

المصدر : http://www.almrsal.com/post/478641

ومثال آخر ميل بعض الشعوب لإستخدام الزخارف والرسومات في واجهات المباني بصورة تعكس ثقافة الإنسان الذي يسكن هذه المناطق، كالنوبة بشمال السودان.

واجهات لبيوت نوبية بها رسومات تعكس حياة وثقافة إنسان المنطقة على واجهاتها، مثلاً يستخدم التمساح كرمز للخصوبة وكثير من الاحيان بمفهوم رد العين والحسد.

صور (2.4) توضح إستخدام الزخارف في المباني كنموذج لتأثير الإنسان على المبنى

المصدر : http://nobiana.blogspot.com/2009/06/1.html

4.2.4 تأثير البيئة العمرانية (الحضرية) على السلوك الإنساني:

أكدت الدراسات و النظريات في مجال علم النفس على أهمية البيئة المحيطة بالإنسان في إكتساب وتعلم السلوك؛ فكل ما يفعله الإنسان يرتبط بوجوده في حيز ما لذلك فإن جميع خصائص البيئة المادية تؤثر على السلوك الانسانى بما يتضمن الظروف المناخية والخصائص والمكونات التشكيلية للبيئة المبنية من أشكال وألوان ومساحات وحجوم وغيرها. وتنقسم التوجهات الفكرية لتفسير العلاقة بين البيئة والسلوك الإنساني إلى عده إتجاهات وهي (خلود 2014):

- الإتجاه الأول: يعتبر العلاقة بينهما حتمية، حيث إعتبر البيئة مجموعة مؤثرات تؤدي بطريقة مباشرة إلى ردود أفعال معينة (سلوك)إذا عُرِفت المؤثرات أمكن توقع السلوك والنتائج.
- الإتجاه الثاني: يعتبر العلاقة بينهما علاقة إحتمالية؛ ويقصد بها أن البيئة تعطي هُنا لك إحتمالية لممارسة بعض أنماط من السلوك أكثر من غيرها.
- الإتجاه الثالث: يعتبر العلاقة بينهما علاقة إمكانية؛ ويفترض هذا الإتجاه أن البيئة يمكن أن تتيح الفرصة لظهور بعض أنماط من السلوك وتمنع ظهور البعض الآخر.ويدَعِي هذا الإتجاه أن تصميم البيئة يزيد من إحتمالية سلوك معين، ولكن البيئة تعمل على تدعيم السلوك الذي يختاره الإنسان بما يتوافق مع إحتياجاته وخلفياته وظروف الموقع (المكان)، وعلى العكس (تثبيط).

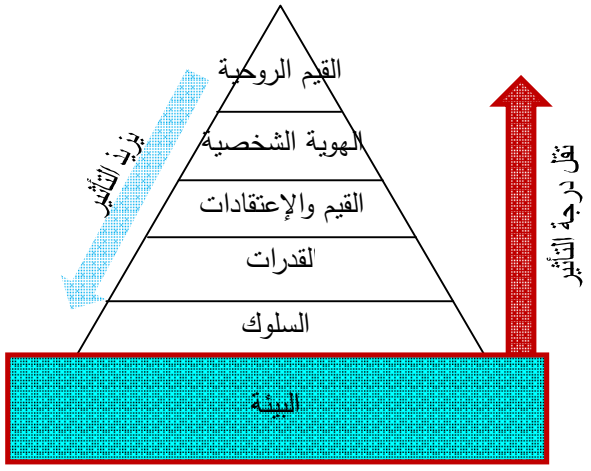

مخطط (3.4) يوضح مدى تأثير البيئة على السلوك مقارنة بالقدرات والهوية والقيم \ المصدر: خلود 2014

ترى الباحثة أن الإتجاه الأخير هو الأقرب والأنسب لفهم العلاقة بين السلوك والبيئة؛ حيث أن سلوك الإنسان ناتج من تكوين شخصيته وبيئته المحيطة كما ذكر سابقاً (المبحث الثاني)؛ أي من نشأته وثقافته وعاداته وغيرها، بالإضافة إلى المكان الذي يحتويه ويتعامل من خلاله. وكذلك أثبتت الدراسات والأبحاث أنه لايمكن تغير الإتجاه الأساسي للسلوك الإنساني الناتج عن مبادئه وقيمه على عكس السلوك الناتج عن بيئته المحيطة سواء كانت بيئة فيزيائية أو إجتماعية.

ان الإنسان بهدف إنجاز إحتياجاته يعمل على تنظيم المعلومات التي يتم إدراكها من البيئة المحيطة، وإذا لم تُحقق خصائص البيئة هذه الإحتياجات فإن ذلك قد يؤدي به إلى اللجوء إلى عدد من البدائل الأخرى؛ فقد يلجأ الفرد إلى تغير تلك الخصائص لتناسب إحتياحاته، أو قد ينتقل إلى بيئة أخرى أكثر ملائمة أو أنه يتعلم إستجابات سلوكية جديدة يمكن من خلالها التوافق مع الموقف الذي يتواجد فيه. يقول المعماري حسن فتحي: "ان الإنسان جزء من كيان حي يتفاعل بإستمرار مع بيئته فيغيرها وتغيره، وأنه قادر على سد حاجاته المادية والروحية بتفاعله مع البيئة المحيطة به" (فتحي 1988).

من هذا نجد أن تأثير البيئة العمرانية على سلوك الإنسان يختلف بكيفية إدراكه للمكان، الأمر الذي يؤثر على كيفية تفاعله معه. لهذا كان لابد من التعرف على مفهوم الإدراك أو الإستيعاب perception؛ الذي هو عبارة عن حوار بين المستوعِب وهو الإنسان والشخص المتلقي، والمستوعَب سواء كتلة أو أي شكل معماري، في وسيط الإستيعاب الذي يختلف بإخلاف درجات الحراره، الاجواء، حاله الشخص النفسيه.....الخ، بواسطة وسائل الإستيعاب (الحواس الخمسة). ويتم الإدراك والإستيعاب على عدة مراحل يتفاعل الإنسان من خلالها مع البيئة وهي (سليم 2016):

1. مرحلة إستقبال الشئ؛ وتشمل الرؤية البسيطة دون التعمق في الكتل المعمارية وتكون هذه مرحلة إستيعاب المقياس scale.
2. مرحلة التقبُل أو العلاقة البصرية الأولية، وهي مرحلة إستيعاب التفاصيل والألوان.
3. مرحلة التعرُف والتفاصيل (إدراك الوظيفه).
4. مرحلة الإدراك والتعمق لماهية كل العلاقات.

تعددت وإختلفت الدراسات والنظرياتحول كيفية إدراك الإنسان للبيئة العمرانية من أبرزها نظريه الصورة الذهنية لكيفن لينش؛ الذي أوضح فيها انعناصر إدراك المدينة وتَشَكُل الخرائط الذهنية تتركب من تآلف وإنسجام ووضوع بعض العناصر؛و هي كل من المسارات وقنوات الحركة الرئيسية Paths، حدود الأجزاء والوحدات Edges، العلامات المكانية المميزة land marks، العقد أو نقاط الإنتقال والإلتقاء Nodes،

وأخيراً المناطق أو الأحياء البصرية المميزة Districts (لينش 1983).كل هذه العناصر تُعطي إنطباعاً معيناً يؤثر على إدراك الإنسان للمكان المعين وبالتالي كيفية تعامله معه وسلوكه العام، وبذلك نؤكد على ان اي فعل يتم في البيئة يتأثر بتلك البيئة وشخصية الفرد.

ومن كل ما سبق ذكره نجد أن البيئة العمرانية (الحضرية) بكل مكوناتها من مباني وشوارع ومساحات مفتوحة تؤثر على الإنسان وسلوكياته بل ويمكن أن تساعد في توليد أنواع معينة من السلوك، فلكل مكون إيحاءات معنوية معينة يؤثر بها. وكمثال لذلك ماتحمله البوابات والمباني الضخمة من إحساس بالهيبة والرهبة والأهمية.

وكمثال لتأثير البيئة العمرانية على السلوك يمكن ان نذكر مايحدث في المناطق المقدسة كالمباني الدينية التي تحمل معنى الرهبة والقدسية من سلوكيات الأفراد وان لم يكونوا من نفس الإنتماء الديني. وكذلك ان الإنسان قد يتجنب السير بشارع معين لما له من إنطباع عنه سواء كان مظلماً (ليس به إنارة كافية) أو ربما لانه يحتوى عدداً من الحيونات وغير ذلك. وأيضاً الإختلاف بين سلوك سكان البادية وسكان الحضر الذي يتأثر تبعاً للمكان والمسكن المأكل والمركب ...الخ.

3.4 تأثير بيئة السكن العشوائي على سلوك الإنسان:

أكدت الدراسات والبحوث ان السكن العشوائي يؤثر على الأفرادنفسياً وصحياً وإجتماعياً ...الخ، كما ويؤثر على المنطقة الموجود بها، بل ان هذا التأثير يتعدى ليشمل المدينة ككل فهو يتسبب في ظاهرة التلوث البصري وتشوه المشهد الحضري.

ومن مُنطَلق ما تم الوصول إليه سابقاً أن البيئة العمرانية تؤثر على سلوك الأفراد، لابد من التأكيد على أن بيئة السكن العشوائي تؤثر على سلوك قاطنيها بإعتبارها تمثل بيئة عمرانية (حضرية) لهم. وخير دليل على تأثيرها - بالرجوع إلى السمات العامة لهذه المناطق (ص21،22)- نذكر على سبيل المثال وليس الحصر ان معظم هذه المناطق العشوائية تنتشر بها الأمراض والمشاكل الإجتماعية والصراعات وترتفع بها معدلات التفكك الأسري والإنحراف والجرائم والمخالفات القانونية. بالإضافة إلى إرتفاع معدلات التزاحم ووجود الكثافات العالية ومايترتب عليها من تأثيرات على السلوك، وكذلك ترتفع معدلات الجهل والمرض لإنعدام الأمن في معظم تلك المناطقنسبةً للقصور والتردي في الخدمات العامة والبنية التحتية من خدمات تعليمية وصحيةوأمنية وتوفر الكهرباء وغيرها. وفي بعض المناطق قد تزيد معدلات العزلة بسبب وجود تضارب ثقافي ناتج عن وجود ثقافات مختلفة بالمنطقة، وقد يحدث العكس (تكامل) في بعضها فتكون هذه الثقافات مكملة لبعضها البعض بالإضافة لوجود ظاهرة عمل الأطفال في تلك المناطق بأعمال هامشية للمساهمة

في إعانة أسرهم و لابدلأ ّ يخفى علينا وجود بعض التأثيرات الإيجابية كوجود روح التعاون؛ إذ تتولد في هذه المناطق مظاهر التعاون والمشاركة؛ بإعتبار ان ما يجرى على الواحد يجرى على الكل، كما ان أفرادها يتعاونون لبناء منازلهم. والمخطط التالي يبين بعض نماذج تأثير بيئة السكن العشوائي على سلوك أفراده، إستناداً على مكونات البيئة الحضرية عمرانياً وا جتماعياً وا قتصادياً (مخطط 4.4).

مخطط (4.4) يوضح نماذج لتأثير السكن العشوائي على سلوك الإنسان \ المصدر: الباحثة

4.4 خلاصة:

يخرج هذا الفصل بتوضيح طبيعة العلاقة بين البيئة العمرانية والسلوك الإنساني، وبعض أشكال تأثير بيئة السكن العشوائي على سلوك أفراده؛ فقد تم فيه التعرف على ماهية هذه العلاقة التبادلية وأهم المداخل البحثية والنظريات التي تفسر سلوك الإنسان في البيئة ونماذج لتأثير كل منهما على الآخر، ونماذج لتأثير بيئة السكن العشوائي على سلوك أفراده.

ومن خلال ماسبق طرحه في هذا الفصل نجد أن العلاقة بين البيئة العمرانية والسلوك الإنساني علاقة متبادلة، أحياناً تزيد نسبة تأثير الإنسان على البيئة العمرانية وأحياناً يحدث العكس، وقد يتساوى مقدار التأثير في أوقات أخرىفلا يمكن ذ ُكران وجود هذه العلاقة الجدلية. ونستنتج ان كل سمات وخصائص مكونات بيئة المناطق العشوائية تؤثر على إنسانها سواء ً سلباً أو إيجاباً، ويترتب على ذلك التأثير أشكال سلوكية معينة يحكمها بالإضافة للبيئة شخصية الفرد.

ويمثل هذا الفصل الشق الثالث من الدراسة والمكمل للجزء النظري، وهو يربط بين الشق الأول الذي تناول السكن العشوائي، والشق الثاني الذي تناول السلوك الإنساني في محاولة لوضع تمهيد للدراسة الميدانية (الحالة الدراسية) وهي ما سيتم تناوله في الفصل التالي.